زُعماء لم يوقفوا مجازر غزة لا يستحقّون تمثيل الأُمتين العربية والإسلامية

بقلم: عبد الباري عطوان...

لن نكتب عن القمّة الاستثنائيّة العربيّة والإسلاميّة التي انعقدت في مدينة الرياض اليوم، فقمّةٌ تنعقد بعد 36 يومًا من حرب الإبادة والتّطهير العِرقي الصهيونيّة في قِطاع غزّة ولم تُوقِف هذه الحرب، أو تفتح معبرًا، أو تحقن دِماء طفل، ليست عربيّة ولا إسلاميّة، ولا حتّى إنسانيّة.

رِجال المُقاومة البواسِل الذين يتصدّون للعُدوان الإسرائيلي هُم صانِعُوا المجد، وهُم الذين يُمثّلون الأمّتين العربيّة والإسلاميّة، والنّاطقون باسميهما، والذين سيُقرّرون مصيرها وهُويّتها، ويُعيدون رسم خريطة المِنطقة بالتّضحية والدّماء، على أُسس جديدة عُنوانها الكرامة والعدالة وعودة الحقّ لأصحابه.

فعندما نُشاهد عبر شاشات التّلفزة الطّائرات والصّواريخ الإسرائيليّة تقصف المُستشفيات، وتقتل المرضى في أسرّتهم، والأطبّاء الذين يُعالجونهم بالحدّ الأدنى من الأدوية، والأجهزة، ووسط ظلامٍ دامس

لانقِطاع الكهرباء، ويجرون العمليّات الجراحيّة للأطفال، وذويهم المُصابين دُون مُخدّر، ويقف 2 مِليار عربي ومُسلم، وأكثر من 55 جيشًا تزدحم صُدور وأكتاف قادتهم، وجِنرالاتهم، بالنّياشين والأوسمة، موقف المُتفرّج، فهذا قمّة العار والخُذلان، وانعِدام الحدّ الأدنى من الإنسانيّة والوطنيّة.

***

فصائل المُقاومة ترتكب خطأً كبيرًا عندما تُناشد "الزّعماء" المُجتَمعين في القمّتين المُندمجتين في قمّةٍ واحدةٍ بالرياض بوقف الحرب، لأنها، وهي التي تُقاوم العُدوان ببسالةٍ ورُجولةٍ، وتَذُلّ دبّابة الميركافا، وناقلة "النّمر" الأسطوريّة، وتُرسل صواريخها ملايين المُستوطنين إلى الملاجئ، وتصمد طِوال هذه المُدّة، بعد أن حقّقت أهمّ انتِصار في تاريخ الأُمّة المُتمثّل في هُجوم السّابع من تشرين أوّل (أكتوبر)، فإنّها بهذه المُناشدة تُعطي هؤلاء شرفًا لا يستحقّه مُعظم "الزّعماء" المُشاركين، وترفع من قيمتهم.

في غزّة هُناك صُمود إعجازي أُسطوري، والتِفافٌ غير مسبوق حول المُقاومة وقِيادتها، ومنسوبٌ ضخم من الاستِعداد للشّهادة والتّضحية حتى تحقيقِ النّصر، ودحْر العُدوان، واجتِثاث المشروع الصّهيوني الفاشي من جُذوره، وعودة فِلسطين، كُل فِلسطين لأهلها.

لا نعتقد أن المُجتمعين في الرياض، عربًا كانوا أو مُسلمين، سيستمعون إلى صرخة الدكتور محمد أبو سلمية مُدير مُستشفى الشّفاء بغزّة، التي أطلقها والصّواريخ تنهال على رأسِه وزُملائه، ومرضاه، والآلاف الذين احتموا بهذا الصّرح الطبّي، تلك الصّرخة التي قال فيها "إنّ جُثث الشّهداء مُتكدّسة، وسنُحاول دفنهم داخِل المُستشفى، الذي يتعرّض، ومُحيطه لقَصفٍ مُستَمِرٍّ من الجيش الإسرائيلي، وإن ساعات فقط تَفصِلنا عن الموت، والعالم يتفرّج، نحنُ لسنا أرقامًا".

قامَ العالم ولم يقعد لأنّ الطّائرات الأمريكيّة قتلت 100 طفل صِربي أثناء قصفها لبلغراد أثناء الحرب البوسنيّة، ولكن، هذا العالم لم يُحرّك ساكنًا لاستِشهاد خمسة آلاف طِفل فِلسطيني في أقل من أسبوعين في قِطاع غزّة، لسببٍ بسيط وهو أنّ القاتل صُهيوني، وأن الدّاعم أمريكي أوروبي يتباهى ويُحاضر بجُرأةٍ وبجاحة في ميدان قيم حُقوق الإنسان، ولأنّ هؤلاء الأطفال من العرب ويعتنقون في مُعظمهم الدّيانة الإسلاميّة ومُعظم زُعمائهم الذين يدّعون تمثيلهم عبيد لأمريكا ويسوقهم رئيسها جو بايدن ووزيره بلينكن مِثل القطيع، ويُملي عليهم ما يقولون ويفعلون.

نُحذّر قيادة حركة "حماس" وفصائل المُقاومة الأُخرى من الاستِماع إلى السّماسرة العرب الذين يتخفّون في زيّ الوُسطاء، فهؤلاء أخطر على الشّعب الفِلسطيني من مُعلّميهم الإسرائيليين الأمريكان، ويعملون لمصلحة هؤلاء، وآخِر همّهم هو إنقاذ الشّعب الفِلسطيني، بل الأسرى الإسرائيليين والعالِقين الأمريكيين والغربيين، وآخِر همّهم هو الشّعب الفِلسطيني.

نُدرك جيّدًا حجم الخسائر في صُفوف المدنيين والنّساء والأطفال، فالعشَرات من بينهم أهلنا في القِطاع وأشقّائنا وأحفادنا وأبناء عُمومتنا، وكُل الشّهداء والأحياء أهلنا، ولكن لا نُبالغ عندما نقول بأنّ المُقاومة انتصرت في هذه المعركة التاريخيّة، وهزمت المشروع الصّهيوني، ودمّرت الأُسس التي قام عليها وأهمّها: الرّدع، الهيبة، الأمن، الاستِقرار، والرّخاء الاقتِصادي، فالإنجاز التاريخي الكبير لا يُمكن أن يتحقّق إلّا بتضحياتٍ كبيرة، وهذا ما يفعله الشّعب الفِلسطيني الآن، في الضفّة والقِطاع، وكتائب مُقاومته.

قِطاع غزّة، أو إسبارطة القرن الواحد والعشرين (العبرة بالإرادة وليس بالمساحة) مُجرّد البداية ونُقطة الانطِلاق إلى الانتِصار الكبير والنّهائي، ولن يحكمه قائد يأتي على دبّابة أمريكيّة أو إسرائيليّة، ولن يسمح بحُماة المُستوطنين ويعمل تحت مِظلّة الأجهزة الأمنيّة الإسرائيليّة وتعليماتها، ويتعيّش على أموالها المسمومة بالعودة إلى القِطاع، بل سيحكمه من تصدّى للعُدوان عليه اليوم وطِوال الأعوام الماضية، أيّ كتائب المُقاومة، ورِجالها البواسِل، وهذا ما يُجمع عليه أبناء القِطاع وأشقاؤهم في الضفّة.

***

خِتامًا نقول لقِيادات المُقاومة في القِطاع لا تُكرّروا خطأ منظّمة التحرير، وتجربتها عام 1982، وتقعوا في مِصيدة فيليب حبيب آخَر بأقنعةٍ عربيّة، ونحنُ نعلم جيّدًا أنّ هُناك عُروضًا حمَلها الوُسطاء بهذه الأقنعة تقول بُنودها بخُروج يحيى السنوار والجِنرال محمد الضيف من القِطاع إلى مكانٍ آمِن مُقابل وقف إطلاق النّار، لإنقاذ ما تبقّى من ماءِ وجْه لنِتنياهو وجِنرالاته المهزومين.

قد يكون نَتنياهو نجح في قتل 11 ألف شهيد نِصفهم من الأطفال، ولكنّه لم يُدمّر نفقًا واحِدًا، ولم يأسِر قائدًا واحدًا من قادة المُقاومة، وتحوّل القِطاع إلى مقبرةٍ لدبّاباته وعرباته المُدرّعة، علاوةً على مقتل العشَرات، وربّما المِئات من جُنوده وضبّاطه، والقادم أعظم بإذن ا.